نقد الخطاب الذكوري

عند بيار بورديو Pierre Bourdieu

قراءة في كتاب "الهيمنة الذكورية"

د. محمد بن سباع

استاذ الفلسفة في جامعة منتوري

قسنطينة

تمهيد:

يعتبر كتاب "الهيمنة الذكورية"، من أهم الأعمال التي ألفها عالم الاجتماع الفرنسي بيار بورديو (1930-2002)، وهو يطرح فيه مسألة على قدر كبير من الأهمية؛ تتمثل في تلك المسألة التي شغلت اهتمام المفكرين وعلماء الاجتماع المعاصرين، وهي أوجه الثبات والتغير في النظام الجنسي المميز بين الذكورة والأنوثة، الذي ترتب عنه الإعلاء من شأن الرجال والحط من قيمة النساء عبر مختلف مراحل التايخ. فعمل بورديو في هذا الكتاب على البحث عن ماهية الآليات التاريخية المؤسسة للتقسيم الجنسي الذكوري والأنثوي من خلال تفكيك الطبيعة الجدلية للتبادل الاجتماعي بين الرجال والنساء؛ لأنها مبرر ظهور الهيمنة الذكورية.

يتكون الكتاب من مقدمة تحدث فيها عن أهمية الموضوع والذي يدل عليه عنوان الكتاب "الهيمنة الذكورية"، التي أصبحت تجد تبريراتها في كل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها من المجالات الأخرى، ثم ثلاث فصول جاءت على النحو التالي، الفصل الأول: الصورة المضخمة، الفصل الثاني: تذكر

obeikandl.com

الثوابت المخفية، الفصل الثالث: أوجه الدوام والتغير. وتعبر مضامين هذه الفصول عن تحليل وتفكيك لمعطيات واقعية أراد من خلالها بيار بورديو أولا تبيان دور البناء الاجتماعي في إنتاج وإعادة إنتاج ظاهرة الهيمنة الذكورية، وثانيا تتبع التحولات الكبرى التي عرفتها وضعية النساء نتيجة وجود ظاهرة الهيمنة الذكورية.

وفي الخاتمة، أراد بيار بورديو أن يقدم إجابة نهائية حول السؤال الرئيس التي اشتغلت على دراسة جوانبه فصول الكتاب وهو: كيف يمكن تجاوز ثنائية الذكورة والأنوثة؟ فأكد على أنه من الضروري تجاوز التفكير وفق هذه الثنائيات، إضافة إلى تشجيع الحركة النسوية من أجل إعطاء المرأة مكانتها الحقيقية في الحياة عموما. لذلك سنحاول في هذه القراءة أن نعرض أهم الأفكار التي قدمها بيار بورديو في كتاب "الهيمنة الذكورية".

أولا: التبادل الاجتماعي لأجساد:

تجد الهيمنة الذكورية تبريراتها في كل جوانب النظام الاجتماعي الذي يعمل بدوره على تبرير هذه الهيمنة من خلال التقسيمات التي يضعها ويقر بها، وعندما نتحدث عن النظام الاجتماعي فنحن نتحدث هنا عن كل مؤسساته، كالدولة والأسرة والمدرسة وغيرها، وهذا ما يبرر قوة الهيمنة الذكورية، وهذا ما يؤكده بيار بورديو في قوله: "إن قوة النظام الذكوري تتراءى فيه أمرا يستغني عن التبرير، ذلك أن الرؤية مركزية الذكورة تفرض نفسها كأنها محايدة، وأنها ليست بحاجة إلى أن تعلن عن نفسها في خطب تهدف إلى شرعنتها"[1]. وعلى العكس من ذلك نجد أن هناك منظمات وجمعيات حقوقية تدعو إلى حقوق المرأة والمساواة بينها وبين الرجل، من أجل تحقيق موازين القوى بين الجنسين، لكي لا نقول أفول الهيمنة الذكورية.

ويعتبر الجسد معيارا أساسيا يكرس من خلاله النظام الاجتماعي الهيمنة الذكورية، وذلك من خلال التمييز البيولوجي بين الجنسين، أي بين الرجل والمرأة،

1 بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سليمان قعفراني، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، ص 27.

وبالتحديد بين الجسد الذكوري والجسد الأنثوي وهذا ما يؤكده بيار بورديو في قوله: "إن تذكير الجسد الذكوري، وتأنيث الجسد الأنثوي، هي مهام عظيمة لا نهاية لها بمعنى من المعاني، والتي تتطلب دوما على وجه التقريب، اليوم أكثر من أي وقت مضى بالتأكيد إنفاقا هائلا من الوقت والمجهودات تحدد استبدانا لعلاقة الهيمنة، كذلك طبعت ومن خلال ترويض الأجساد تفرض الاستعدادات الأشد جوهرية تلك التي تجعل الأجساد الأكثر ملائمة لاستعمال الذكورة ميالة وقادرة على الدخول في الألعاب الاجتماعية: السياسة والأعمال والعلم... الخ". إن التقليد الاجتماعي يربط بين الشجاعة الأخلاقية والجسدية وبين الرجولة؛ فالبناء الاجتماعي يميز بين الرجل والمرأة من خلال التمييز بين الأجساد وبالتحديد بين الأعضاء الجنسية ووظيفتها؛ ويعطيها بعدا رمزيا يكرس هيمنة الذكر على الأنثى فيتجاوز بذلك الوظيفة البيولوجية لهذه الأعضاء إلى التأكيد على فكرة تمركز وهيمنة الذكر على الأنثى، حتى أن فعل ممارسة العلاقة الجنسية أصبح ينظر إليه على أنه مظهر من مظاهر هذه الهيمنة وليس كتجربة حميمية.

يحاول بيار بورديو إذن، وانطلاقا من تفكيك التعريف الاجتماعي للجسد، وبشكل خاص للأعضاء الجنسية أن يبين كيف أن المركزية الذكورية هي الموجه للعلاقات بين الجنسين الرجل والمرأة، حيث يكون البناء البيولوجي للجسد الذكوري والجسد الأنثوي، وبالتالي للوظائف البيولوجية والرمزية خصوصا لأعضاء الجسد، هو من يبرر هذه المركزية الذكورية، وتكمن أهمية البناء الاجتماعي للجسد في تبرير هذه المركزية الذكورية: "في أنه فعل بناء وتكوين بالمعنى القوي للكلمة، وهو لا يأخذ شكل فعل تربوي علني وعاجل، إلا بشكل جزئي جدا، هذا العمل وفي جزء كبير منه، هو نتيجة آلية ومن دون عون لنظام فيزيائي واجتماعي منظم بالكامل بحسب مبدأ تقسيم المركزية الذكورية (وهذا ما يفسر القوة العظمى للنفوذ الذي يمارسه ذلك الفعل)"[1].

يتبين لنا من خلال ما سبق ذكره، أن تمييز النظام الاجتماعي ما بين الذكر والأنثى من خلال التمييز بين الأجساد وبالتجديد الأعضاء الجنسية، جعل من

1 بياربورديو، الهيمنة الذكورية، المصدر السابق، ص 47.

العلاقة الجنسية وبامتياز علاقة اجتماعية رمزية للهيمنة الذكورية التي تعبر عن رغبة الذكر في التملك والسيطرة، وهكذا فان التقسيم الجنسي السابق ترتب عنه التقسيم الجنسي للعمل، لأن النظام الاجتماعي وجد مبرر وجوده وأعطي أكثر شرعية لهيمنة الذكر على الأنثى من خلال طبيعته البيولوجية التي أصبحت بناء اجتماعي غير مبرر. فأصبحت العلاقات الاجتماعية للهيمنة التي نتجت عن تقسيم الأنواع الذكورية والأنثوية هي المكونة للنظام الاجتماعي ذاته.

وتتنوع مظاهر الهيمنة الذكورية في إطار التمييز الاجتماعي بين الأجناس من خلال الأجساد، فتتعدى العلاقات الجنسية إلى مظاهر الحياة العامة، وفي إطار دراسته لسلوكات وعادات سكان منطقة القبائل بالجزائر يحدد بيار بورديو بعض هذه المظاهر، ومن بينها مثلا أن الطفل بعد الولادة يوضع على يمين أمه لأن اليمين جانب ذكوري، عكس البنت التي توضع على اليسار لأن اليسار جانب أنثوي، وهذا العمل النفسي والجسدي المطبق على الذكر يكون الهدف منه ترجيله وتكريس فكرة تميزه عن الأنثى وبالتالي هيمنته عليها وهذا التقسيم الاجتماعي بين الذكورة الأنوثة هو ما ترتب عنه نتيجة خطيرة تتمثل في: "شكل تخلق جسدي متناقض وفي شكل مبادئ رؤية وتقسيم، تؤدي إلى تصنيف كل أشياء العالم وكل الممارسات بحسب تمييزات تختزل في التعارض بين المذكر والمؤنث"[1]. وبالفعل، هذا ما يلاحظ مثلا على التقسيم الجنسي للعمل فالرجال يؤدون أعمال الذبح والزرع والحصاد، أما النساء فتوكل لهم مثلا مهمة رعاية الأطفال وحتى الحيوانات، أي أن الرجال يمارسون هيمنتهم من خلال الأعمال التي يقومون بها، والنساء تطبق عليهن هذه الهيمنة التي يصادق عليها البناء الاجتماعي العام.

فمثلا، في منطقة القبائل بالجزائر يقوم الرجال في موسم جني الزيتون بإسقاط حبات الزيتون عن طريق عصي معينة تستعمل لهذا الغرض، أما النساء فيجلسن عند أرجل الرجال من أجل التقاط ذلك الزيتون المتساقط على الأرض، وفي هذا دلالة رمزية على الهيمنة الذكورية، فالأنثى منذورة رمزيا من أجل الخضوع والولاء

1 المصدر نفسه، ص 55.

للرجل وهذا شكل بسيط من أشكال أخرى كثيرة ومتنوعة تبين الهيمنة الذكورية المطلقة على الأنثى وهي هيمنة يعمل النظام الاجتماعي عبر كل مراحل التاريخ على إنتاجها، وإعادة إنتاجها.

ثانيا: العنف الرمزي:

يعتبر العنف الرمزي من أهم الموضوعات التي اشتغل بيار بورديو على دراستها، لأنها لا تقل أهمية عن العنف الجسدي كمظاهر للهيمنة الذكورية، ولا يفهم من كلمة "رمزي" كما يستخدمها بيار بورديو في مؤلفاته سواء "الهيمنة الذكورية" أو "اللغة والعنف الرمزي" على أنها ما يقابل الواقع ويعارضه، وإنما يعطيه معنى خاص مفاده أن: "العنف الرمزي يتأسس بواسطة الانتساب الذي لا يستطيع المهيمن عليه إلا منحه للمهيمن، وذلك عندما لا يحظى المهيمن عليه – لأجل التفكير بذلك أو التفكير بنفسه أو خيرا من ذلك التفكير بعلاقته مع المهيمن– إلا بأدوات المعرفة المشتركة بينهما، والتي ليست سوى الشكل المستدمج لعلاقة الهيمنة التي تظهر هذه العلاقة على أنها طبيعية"[1]. ومثال على ذلك فالمرأة تسلم بتبعيتها للرجل وبالتالي بالهيمنة الذكورية في أغلب مجالات الحياة والعلاقات الاجتماعية، ففي إطار العلاقة الزوجية مثلا ترفض المرأة الارتباط بزوج أقل منها سنا وتفضل الارتباط بمن هو أكبر منها سنا كما ترفض الارتباط بمن هو أقصر منها وتفضل الارتباك بمن هو أكثر منها طولا؛ وذلك راجع إلى أن المرأة تسلم بهيمنة الرجل من خلال كونه أكبر منها سنا وأطول منها. يقول بورديو: "على هذا النحو، هي رؤية المركزية الذكورية تشرعنها باستمرار الممارسات نفسها التي تحددها. وبما أن استعدادات النساء هي نتاج استدماج الحكم المسبق السلبي ضد المؤنث، المؤسس في نظام الأشياء، فان النساء لا يستطعن سوى تأكيد هذا الحكم المسبق باستمرار... إن الاستعدادات ذاتها التي تصبو بالرجال إلى التخلي للنساء عن المهمات الدونية والمساعي الخسيسة والتافهة، أي باختصار إلى التخلص من كل السلوكات التي لا تتلاءم كثيرا مع الفكرة التي يكونونها عن كرامتهم"[2].

1 بياربورديو، الهيمنة الذكورية، المصدر السابق، ص 62.
2 المصدر نفسه، ص 59.

إن تبرير هذا الموقف والذي يمكن تسميته بالخضوع الطوعي من الأنثى للذكر وتسليما منها بهيمنته عليها، راجع إلى التوجيه الذي يمارسه النظام الاجتماعي على المرأة والذي يكرس الهيمنة الذكورية، بل ويعمل على إنتاجها بكل الطرق، يقول بيار بورديو: "وهكذا لا تستطيع التفكير في هذا الشكل الخصوصي للهيمنة إلا بشرط تجاوز تناوب الإكراه (بواسطة قوى) والقبول (له أسباب) للقهر الآلي، والخضوع الإرادي والحر والمتعمد، لا بل المحسوب. إن أثر الهيمنة الرمزية (سواء كانت اثنية أو نوعا أو ثقافة أو لسانا...) لا يمارس في المنطق الخالص للضمائر العارفة، بل يمارس من خلال ترسيمات الإدراك الحسي والتقييم والفعل"[1].

وهكذا، يساهم المهيمن عليه أي المرأة في تكريس السلطة الرمزية للهيمنة من خلال قبولها الضمني لتأثيرها عليها، أو ما يسميه بورديو ب"أفعال المعرفة" التي تتضمن معرفة المهيمن عليه بخضوعه للهيمنة وقبوله بأداء هذا الدور، وهذا ما يكون أكثر وضوحا في علاقات القرابة القائمة على مبادئ الحب والاحترام والواجب وهنا يجب أن نؤكد على فكرة على قدر كبير من الأهمية في علاقات الهيمنة ألا وهي أن الموافقة الطوعية من قبل المهيمن عليه (المرأة) على الدخول تحت فعل الهيمنة ترفع المسؤولية ولو نسبيا عن المهيمن (الرجل). لكن السؤال الذي يطرح هنا: هل يمكن تخفيف حدة العنف الرمزي الذكوري؟ وبعبارة أخرى: كيف يمكن أن نحرر المرأة من هيمنة الرجل على الرغم من لأنها مندمجة طواعية تحت هيمنته؟

لقد انتبهت الكثير من المنظمات والجمعيات النسوية إلى أهمية هذا الجانب من خلال الدعوة إلى تحرير الإرادات والضمائر، فكان أهم عائق أمام هذه الدعوة هو ظاهرة العنف الرمزي ذاتها التي تجاوزت إرادة المهيمن عليه الذي أصبح هو من يبرر وجوده وليس المهيمن وذلك من خلال قبوله لهذه الهيمنة الذكورية التي أصبحت نتاجا اجتماعيا معقدا، لذلك: "ان أفعال المعرفة والاعتراف العملية للحدود السحرية بين المهيمن والمهيمن عليهم التي يثيرها سحر السلطة الرمزية، يساهم من خلالها المهيمن عليهم، من دون علمهم غالبا وضد مشيئتهم أحيانا، في

1 بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، المصدر السابق، ص 65.

تمرير الهيمنة عليهم عبر قبولهم الضمني بالحدود المفروضة"[1]. كما يضيف قائلا: "إننا لا نستطيع انتظار قطيعة علاقة التواطؤ التي يهبها ضحايا الهيمنة الرمزية للمهيمنين إلا من خلال تحول جذري للشروط الاجتماعية التي تحمل المهيمن عليهم على تبني وجهة نظر المهيمنين أنفسهم في النظر إلى المهيمنين وإلى أنفسهم ذاتها"[2].

إن من أهم التحولات التي حدثت في علاقة الرجل بالمرأة من خلال ظاهرة الهيمنة الذكورية، هو أن المرأة أصبح ينظر إليها دائما وفق مبدأ الاستبعاد الذي كرسه النظام الاجتماعي ذاته، فأصبحت المرأة ينظر إليها على أنها مجرد شيء أو رمز، والأخطر من هذا، أنها تنكر بوصفها ذاتا، ونذر لها أداء مهمة واحدة هي: "المساهمة في إعادة إنتاج رأس المال الرمزي للرجال، وتأسيس علاقات بينهم، فهن نساء مختزلات إلى مكانة وسائل إنتاج وإعادة إنتاج رأس المال الرمزي الاجتماعي"[3]، حيث أصبح الإنتاج الرمزي الاجتماعي ينظر إلى المرأة كما ينظر إلى الإنتاج الاقتصادي على أنها سلعة متبادلة، وهذا ما نجده في علاقات الزواج مثلا.

ويحيلنا بيار بورديو إلى جانب مهم جدا في علاقة الهيمنة بين الذكر والأنثى، ألا وهو أن المرأة ليست وحدها التي ينظر إليها على أنها ضحية، وإنما الرجل في حد ذاته هو ضحية الهيمنة التي يريد ممارستها على المرأة، وهذا ما يناقشه من خلال مفهمه للرجولة فيقول: "إن الرجولة المتفق على أنها قدرة معيدة للإنتاج جنسية واجتماعية، لكن أيضا على أنها قابلية للصراع وممارسة العنف (في الثأر تحديدا). هي قبل كل شيء تكليف"[4]؛ وذلك من ناحية أن الرجل دائما ملزم بالحفاظ والدفاع عن كونه رجلا، فالامتياز الذكوري للرجل غالبا ما يكوم على حساب أنوثة المرأة، وهو تكليف يتطلب من الرجل جهدا مستمرا في الحفاظ على هذا الامتياز والذي هو رجولته. وهكذا، كما نرى: "إن الرجولة مقولة علائقية للغاية،

1 المصدر نفسه، ص 67.
2 المصدر نفسه، ص 72.
3 بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، المصدر السابق، ص 74.
4 المصدر نفسه، ص 84.

شيدت قبالة الرجال الآخرين ومن أجلهم، وضد الأنوثة، على شكل خوف من المؤنث، وداخل النفس ذاتها أولا"[1].

ثالثا: الذكورة بوصفها نبالة

يوحي هذا العنوان بالمكانة التي أعطاها النظام الاجتماعي للذكر مقابل الأنثى، تلك المكانة العليا للرجل مقابل المرتبة الدنيى للمرأة، وبالعودة إلى الواقع المعيش فإننا نجد أن التراتبية المعمول بها في تحديد مناصب العمل مثلا تبين ذلك بوضوح، فغالبا ما نجد أن رب العمل رجل والسكرتيرة امرأة، وأن الطبيب ورئيس المصلحة رجل، أما الممرضة فأنثى. وغيرها من الأمثلة التي تبين أولا الهيمنة الرمزية المطبقة على الأنثى، وثانيا النظرة الخاصة التي يوليها النظام الاجتماعي للذكورة على أنها نبالة وشرف.

إن إثبات وجود الرجال مقابل نفي وجود النساء هو تعزيز لوجود علاقة الهيمنة الرمزية القائمة، إلى درجة أن النبالة تصبح صفة لصيقة بكل عمل يؤديه الرجل حتى ولو كان عملا نسائيا في إطار التقسيم الاجتماعي المتعارف عليه، والذي وضعه النظام الاجتماعي ذاته المميز بين الجنسين، فالطبخ والخياطة مثلا هي أعمال نسوية لكن إذا أداها الرجل أصبحت أعمالا نبيلة لا لشيء إلا لأن الرجل هو من يؤدي تلك الأعمال. وتأكيدا منه على وجود الهيمنة في كل سلوكات الرجال يقول بيار بورديو: "لعله يتعين تعداد كل الحالات التي يكمل فيها أفضل الرجال نية حسنة، أفعالا تمييزية (العنف الرمزي كما نعلم يجري مجرى نظام النوايا الواعية) مستبعدين النساء من مراكز السلطة، حيث من دون طرح السؤال ومختزلين مطالبهن إلى نزوات يمكن تبريرها بحديث تخفيفي، أو بالتربيت على الخد، أو حتى التذكير بنية الظهور بمظهر معارض، بتذكيرهن وإرجاعهن بمعنى ما إلى أنوثتهن"[2].

تتحدد مكانة المرأة في علاقات الهيمنة من خلال الحكم الذي يصدره الآخر المهيمن والذي هو الرجل حتى أن المرأة ذاتها ومن خلال أداءها لدور المهيمن عليه

1 المصدر نفسه، ص 86.

2 بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، المصدر السابق، ص 94.

تسعى لكي تكون موجودة من خلال نظرة الرجل وهذا اعتراف منها بنبالة الذكورة على الأنوثة، فالتمثل الاجتماعي ككل ينظر إلى المرأة كشيء أو كموضوع من خلال إقامة أوجه تعارض بين الرجل والمرأة، كالكبر والصغر، الخشونة والليونة... وغيرها، وهنا يقول بورديو: "إن نتيجة الهيمنة الذكورية التي تشكل من النساء موضوعات رمزية، الكائن منها كائن-مدرك، هي وضعهن في حال دائمة من عدم الأمان الجسدي، أو بالأحرى في حالة من التبعية الرمزية. إنهن موجودات بواسطة ومن أجل نظرة الآخرين، أي بمثابة موضوعات مضيافة، جذابة وجاهزة، وننتظر منهن أن يكن أنثويات"[1]. وتنقاد المرأة وراء هذا التصور فتحاول دائما أن تجعل سلوكاتها وخصوصا جسدها مقبولا أمام هذه النظرة بكل الطرق والتي أهمها ما يسمى بالجراحة التجميلية التي تلجأ إليها بعض النسوة بحسب الطبقات الاجتماعية والإمكانيات المادية لتحسين مظهر وجمال أجسادهن، وكأن الجسد وجد فقط من أجل إعداده لكي ينظر إليه.

رابعا: الذكر والأنثى/تحولات علاقات الهيمنة

يتجه بيار بوردي وإلى التعمق في البحث في البنى الموضوعية والذاتية لظاهرة الهيمنة الذكورية، لأن هذه البنى هي المسؤولية عن إنتاج وإعادة إنتاج هذه الظاهرة عبر مختلف المراحل التاريخية، حيث أن هناك مؤسسات معينة تقوم بأداء هذا الدور تتمثل خصوصا في المؤسسة الدينية والسياسية والتعليمية، على الرغم من الاختلاف القائم بينها في أداء هذا الدور، وبالتالي فان هذه المؤسسات لا تعمل فقط على تكريس الهيمنة الذكورية من خلال التمييز بين الرجل والمرأة، وإنما كذلك تجعل النساء يشاركن في استبعادهن من كل المجالات، لذلك يؤكد بيار بورديو على إعادة بناء ما يسميه بتاريخ العمل التاريخي النازع للتاريخانية، وذلك من أجل فهم التحولات التي حدثت في العلاقة بين الرجل والمرأة وظهور الهيمنة الذكورية، وبالتالي حدوث كل هذا الاستبعاد للمرأة، إذ يقول: "وباختصار، فان التاريخ يكشف الثوابت العابرة للتاريخ للعلاقة بين "النوعين" يجد نفسه مجبرا على أن يأخذ موضوعا

1 المصدر نفسه، ص 103.

له، العمل التاريخي النازع للتاريخانية التي أنتجها وأعاد إنتاجها باستمرار، أي العمل الدائم الذي يقضي بالتمايز الذي لا يتوقف الرجال والنساء عن الخضوع له والذي يحملهم على تمييز أنفسهم بأن يجعلوا أنفسهم ذكرانا أو أن يجعلن أنفسهن إناثا"[1].

لكن في المرحلة المعاصرة، نلاحظ أن هناك تحولا مهما في تراتبية النوعين، الذكر والأنثى، من خلال ظهور هيئات جديدة تسهم وبفعالية في إعادة إنتاج هذه التراتبية، ونخص بالذكر هنا الحركة النسوية ممثلة في الحركة الجمعوية التي ساهمت في إحداث تحولات عميقة ترتب عنها إعادة النظر وبحدة في ظاهرة الهيمنة الذكورية من جهة، وإعادة النظر في وضع النساء من جهة أخرى: "لذلك فان أحد أكثر التغيرات أهمية وأحد أهم العوامل حسما للتحول في وضعية النساء، هو بلا أدنى شك ازدياد بلوغ الفتيات التعليم الثانوي والعالي الذي في علاقته مع تحولات البنى الإنتاجية، (لاسيما في تطور الإدارات الكبيرة والعالمة والخاصة، وتطور تقنيات التأطير الاجتماعية الجديدة)، أعقب هكذا ازديادا كبيرا في تمثيل النساء في المهم الفكرية أو في الإدارة وغيرها"[2].

ولكن، رغم وجود هذه التحولات فعلا في الواقع وغيرها، التي تدل على ما يمكن تسميته شبه مساواة بين الرجل والمرأة، إلا أن الحقيقة غير ذلك، ذلك أن المناصب التي تحتلها المرأة في الوظيف العمومي تتعلق بأدوار ثانوية وليست مراكز قرار لذلك نجده في أغلب الأحيان ممرضات وسكرتيرات وعاملات نظافة ومساعدات أطفال وغيرها من الوظائف. وعليه نلاحظ أن تقسيم العمل بقي محافظا على ذلك النموذج التقليدي للتقسيم بين مذكر ومؤنث، فنجد أن الرجال فقط هم الذين يهيمنون على الوظائف المهمة في القطاع العام خصوصا السياسية والاقتصادية.

خامسا: الهيمنة والحب

لا يستثني بيار بورديو أثناء حديثه عن الحب ربطه بظاهرة الهيمنة الذكورية والعنف الرمزي، فأين تكمن العلاقة بين الحب والهيمنة؟ يقول بورديو عن الحب:

1 بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، المصدر السابق، ص 129.
2 المصدر نفسه، ص 136.

"إن الحب هو هيمنة مقبولة مجهولة بصفتها كذلك ومعترف بها عمليا، في الهوى السعيد أو البائس". والميزة الأساسية التي تميز علاقة الحب بالهيمنة هي أن المهيمن ليس بالضرورة هو الرجل كما أن المهيمن عليه ليس بالضرورة المرأة، حيث قد يكون الرجل مهيمنا عليه في علاقة الحب فتصبح الهيمنة الذكورية ملغاة أو مخففة، فللحب نفوذ سحري يمارس على الجنسين الرجل والمرأة، وهنا يقول بورديو: "في هذا النوع من الهدنة الاعجازية، حيث تبدو الهيمنة مهيمن عليها، والعنف الرجولي مخفف (لقد أثبت مئات المرات، أن النساء يضفين الحضارة بأن يجردن العلاقات الاجتماعية من فظاظتها وغلظتها)، تنتهي بذلك الرؤية الذكورية، صيدية أو محاربة دوما، للعلاقات بين الجنسين، وتنتهي بالمناسبة ذاتها استراتيجيات الهيمنة التي تهدف إلى الربط أو التكبيل أو الإخضاع أو التحقير أو التسخير"[1]. لذلك فالحب هو من العلاقات الإنسانية النادرة التي يكون الحديث فيها عن تراتبية النوعين بالجمع بينهما وليس من خلال معايير التمييز السابقة الذكر والتي تعلي من شأن الذكر وتحط من قيمة الأنثى، بل إن علاقة الحب تعطي للمرأة مكانتها الحقيقية وتغير نظرة الرجل إليها، فتصبح العلاقة بينهما ليست علاقة هيمنة وإنما قائمة على الاعتراف المتبادل، بل إن كل واحد منهما يبذل جهده في إثبات ذلك، أي إثبات الحب.

يتحدث بورديو عن ما يسميه "بالحب الصافي"، وهو مرتبط بالجانب النظري أكثر من ارتباطه بالجانب العملي، وهذا ما يبرر أن الزواج الناتج عن هذا الحب غالبا ما ينتهي بالطلاق، ولكن على الرغم من ذلك يبقى جانبه الايجابي أنه يحد من ظاهرة الهيمنة؛ لأنه قائم على: "الاعتراف المتبادل القائم على تعليق الصراع من أجل السلطة الرمزية الذي يثيره السعي للاعتراف والغواية الملازمة لأن يهيمن، به يهتدي كل واحد إلى نفسه في الآخر الذي يعترف به على أنه آخر ذاته نفسها، والذي يعترف به باعتباره كذلك". فيتخلى كل واحد منهما عن نية الهيمنة والسيطرة ويكتفي بالاعتراف بالآخر.

1 بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، المصدر السابق، ص 162.

خاتمة: الهيمنة الذكورية أين الحل؟

تبين لنا من قبل أن الهيمنة الذكورية مسلم بها وموجودة في كل مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، وهناك مؤسسات عدة تكـــرس هـــذه الهيمنة وتعمل على إعادة إنتاجها، وبالتالي فاننا نلاحظ أن هناك ثباتا تاريخيا لعلاقة الهيمنة الذكورية، و لم يتساءل إلا القليلون عن إمكانية تجاوز هذه الظاهرة.

يكمن الحل أولا حسب بورديو في تجاوز التفكير على طريقة الثنائيات، وجملة المعايير التي تحدثنا عنها من قبل والتي تميز بين الذكر والأنثي. وعليه يبقـــى النظـــام الاجتماعي هو المسؤول عن التمييز الجنسي بين الذكر والأنثى، الذي على الـــرغم من التحول الظاهر عليه، إلا أنه يعمل مع كل تغيير خارجي على تجـــذير ثنائيـــة الذكر والأنثى، وما يترتب عنها من ثنائيات، مهيمن مهيمن عليه، قوي ضـــعيف، فوق تحت،...

obeikandl.com